الخاتمة

الخاتمة:

تعقبنا خلال دراسة موضوع فريضة الحج، مختلف التنظيمات التي قامت بها السلطات الفرنسية، والتي من خلالها طبقت سياسة المنع والتقييد والتدخل في شؤون الدين الإسلامي، عبر فرض عدة قوانين للاستيلاء على الأوقاف أولا، من خلال توظيف موظفي السلك الديني" كقدور بن غبريط" ، وشكلت بذلك النواة الأولى للوظيفة الدينية الرسمية.

لقد استعانت الإدارة الاستعمارية بهذه الشخصية لتأسيس هيئات دينية، للإشراف على شؤون الدين الإسلامي، عملا بقانون فصل الدين عن الدولة، هذا القانون ظل يستثني الدين الإسلامي خلافا للمذاهب والأديان الأخرى، حيث شكلت السلطات الاستعمارية لجنة وزارية لشؤون الدين الإسلامي، وهي التي أوعزت بتأسيس" جمعية حبوس الحرمين" منذ سنة 1917م، هذه الأخيرة فشلت في مهامها، ولم تتوفق في تنظيم عادي لمواسم الحج، وكثرت الانتقادات حولها حتى من طرف الإدارة الاستعمارية نفسها، ما دل على فشل سياسة فرنسا الإسلامية في بالجزائر.

كما عجزت فرنسا في تكييف نص قانون" فصل الدين عن الدولة" الصادر سنة 1905م، والذي كان من المفروض أن يمدد العمل به ليشمل الجزائر وفق قرار 1907/09/27م، لكن استثنى هذا القانون الدين الإسلامي، ما تسبب في معارك عنوانها "فصل الدين عن الحكومة" وهو شعار حملته رجال الإصلاح والحركة الوطنية في معركتهم مع سلطات الاحتلال.

أما فيما يخص إشرافها على فريضة الحج، فقد نظرت الإدارة الاستعمارية بقلق وخوف منذ البداية لهذه الفريضة العابرة للحدود، فمنعت الحاج الجزائري الورع الذي لم يكن يحمل أي تهديد، إلا إيمانه القوي، وإرادته الكبيرة، رغم التضييق والمنع، الذي لم يثنه عن إتمام أركان دينه، وزيارة البقاع المقدسة مهما كلفه الأمر.

هذا الركن المقدس من أركان الإسلام نالته من تضييقات كثيرة من طرف سلطات الاحتلال، ولم تهدا حتى أصدرت قرارا رئيسيا ينظم شؤون الحج، وهو قرار 10 ديسمبر 1894م، الذي فرض قيود على فريضة الحج، وأكد على وجوب توفر شروط لا علاقة لها بالأهلية الشرعية والاستطاعة التي حددها الشرع الإسلامي الحنيف، حيث أكد هذا القانون على وجوب استخلاص الحاج جميع ديونه وضرائبه إزاء سلطات الاحتلال، وشرط كذلك وجوب توفره مسبقا على الترخيص بالسفر...

أما الرحلات الحجية الجزائرية ، ومنذ الدخول الفرنسي و لم يترك للجزائريين أي خيار خاصة بعد سن قوانين تلزمهم على ترك ممارسة حياتهم الدينية والروحية، مما أجبر الجزائريين على الهجرة قسراً أو الذهاب لأداء مناسك الحج والبقاء هناك إلى حين ومنهم من لم يعود، وقد ساهمت هذه التضييقات والممانعات على فقدان كبير من الموروث الثقافي لتلك الفترة المظلمة من تاريخ الجزائر التي لا نعلم عنها إلا الشيء القليل.

لكن أهم مسالة أرقت الإدارة الاستعمارية، هي مسالة نقل الحجاج، في وقت اختفى فيه ركب الحجاج إلا نادرا، ولم يبق من وسيلة سريعة أكثر أمنا إلا السفن، غير أن السلطات الاستعمارية استعملت سفنا غير لائقة لنقل الحجاج، هذه الأخيرة لاقت الكثير من الشكاوي من طرف الجزائريين، ووصفوها بأبشع مراحل النقل البحري على الإطلاق.

إن الخوف الذي شكلته فريضة الحج بالنسبة للسلطات الاستعمارية مبني أساسا على صورة نمطية مشوهة عن الحاج والحج، حيث كانت تعتبر الحاج حامل للأمراض والأوبئة، وكانت دائما أسباب منع الحج في سنوات طويلة بذرائع منع انتشار الأوبئة والأمراض،

وقد عقدت المجالس وأبرمت الاتفاقيات الدولية للصحة العالمية من اجل محاصرة الحاج ووضع القيود أمامه لتعجيزه عن أداء شعائر الحج، حيث تم إقرار شروط الحجر الجائرة، التي مثِلت أصعب مراحل رحلة الحج.